اللقاء الخامس من لقاءات التفسير
في شهر رمضان المبارك من عام 1437هـ

الجزء السادس: سورة المائدة
الآيات من 109 –120

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) /http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

أجمعين نحمد الله عز وجل حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يكون هذا اللقاء من أسباب زيادة إيماننا ورحمة ربنا بنا وشهادتنا مع رسولنا الكريم على هؤلاء الأنبياء الكرام الذين بلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة وقاموا بما أوجب عليهم ربهم.

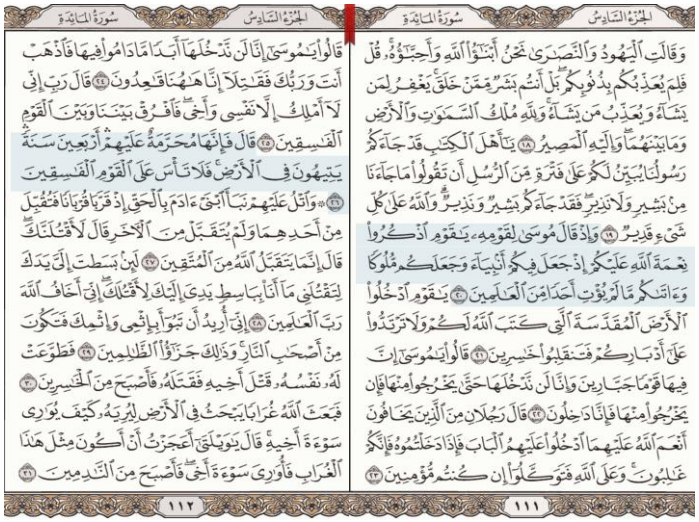

نتدارس اليوم بأمر الله أواخر سورة المائدة، وفيها وصف ذاك الموقف العظيم يوم يجمع الله –عز وجل– الرسل، فإنه سبحانه وتعالى يجمع الرسل كما يجمع غيرهم من الخلق، فإذا جمعهم يقول لهم: **{مَاذَا أُجِبْتُمْ}**؟ فيكون الجواب مرهم: **{قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ}**.

الجزء السادس
سورة المائدة
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض
وما بينهما وإليه المصير ١٨ يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل
شيء قدير ١٩ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا
وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ٢٠ يا قوم ادخلوا
الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا
على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ٢١ قالوا يا موسى إن
فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن
يخرجوا منها فإنا داخلون ٢٢ قال رجلان من الذين يخافون
أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم
غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ٢٣
١١١

الجزء السادس
سورة المائدة
قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب
أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ٢٤ قال رب إني
لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين ٢٥ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة
يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين
٢٦ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل
من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك
قال إنما يتقبل الله من المتقين ٢٧ لئن بسطت إلي يدك
لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله
رب العالمين ٢٨ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون
من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ٢٩ فطوعت
له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ٣٠
فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري
سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ٣١
١١٢

فإذًا مما نعتقده أنّ الله عز وجل يجمع الرسل كما يجمع غيرهم من الخلق.

وأنه في هذا المقام يسألهم: **{مَاذَا أُجِبْتُمْ}**؟ وفي هذا المقام يكون قولهم: **{لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ}**.

لكن يبقى كيف يقولون لا علم لنا؟ أليسوا هم الذين أجابوهم أقوامهم وردّوا عليهم؟! فنرى ما معنى هذا الرد منهم؟

يقول الشيخ السعدي:

يخبر تعالى عن يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام، وأن الله يجمع به جميع الرسل فيسألهم: {مَاذَا أُجِبْتُمْ} أي: ماذا أجابتكم به أُمَمكم ؟

ف **{قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا}** وإنما العلم لك يا ربنا، فأنت أعلم منا.

{إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ} أي: تعلم الأمور الغائبة والحاضرة.

تأدبوا فقالوا لا علم لنا أنت أعلم منا بكل شيء، وهذا القول من باب الأدب في هذا المقام العظيم والله مطلع على كل الخفايا عالم بكل السرائر، مكتوب عنده كلَ أفعال الخلق، من كمال عدله أن جعل هؤلاء الخلق عليهم ملائكة كرام يكتبون ما يفعلون، فردهم هذا من باب التفويض والتأدب مع الله وإظهار العجز.

فلما قَالُوا: {لا عِلْمَ لَنَا} قالوا: {إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ}. بمعنى أنهم وصفوا الله بكمال الصفات، خاصةً من جهة العلم ، وهذا مناسب ليوم الجمع، فإن الناس إذا جمعهم ربهم لحسابهم يظهر من كمال الله عز وجل مالا يكون في حسبان الخلق، ومن أعظم ما يظهر من كمال الله يظهر العلم والعدل.

فهذا الموقف الآن الذي سيترتب عليه الحساب،كان العلم أظهر الصفات فيه، فتأدبوا هؤلاء الرسل الكرام فقالوا: لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب، وهم بهذا يشابهوا الملائكة الكرام الذين اعترفوا أن لا علم لهم إنما العلم لله عز وجل.

ثم يأتي في هذا المقام العظيم الخبر عن عيسى –عليه السلام–، فهذه السورة فيها من الأخبار عن عيسى –عليه السلام– وبني إسرائيل معه وأحوالهم بتكذيبه، وأحوالهم في المبالغة في اتهامه هو وأمه بأشنع ما يمكن أن يكون من الاتهام، فأتت هذه الآيات تصف ذاك الموقف العظيم يوم يجمعُ المرسلين ، ثم أتت الآيات تخبر الخبر عن عيسى –عليه السلام–، أي بمعنى أن الكلام هنا عن عيسى –عليه السلام– أتى في نفس هذا الموقف موقف جمع الرسل.

وفي ذلك إظهار لما كان عليه عيسى –عليه السلام– من حال، وكيف أنه صلى الله عليه وعلى نبينا محمد كيف أنه قاسى من بني إسرائيل ما قاسى، وكيف أنه رغم كل الأدلة والآيات على أنه رسول من عند الله، إلا أن بني إسرائيل مع صفاتهم في العناد ورد الحق، ردوا على عيسى –عليه السلام– رسالته، وسيظهر أثناء قراءتنا للآيات وفهمها ماذا علينا أن نعتقد فيه – عليه السلام– وكيف واجه بني إسرائيل كل هذه الآيات العظيمة؟

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ} أي: اذكرها بقلبك ولسانك ، وقم بواجبها شكرا لربك، حيث أنعم عليك نعمًا ما أنعم بها على غيرك.

وهذا الموقف موقف تذكير بالنعم، وهذا الموقف موقف بيان للفضل، فذكر الله –عز وجل– ما امتنّ به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم، فأول النعم أنه (ابن مريم) وهذا فيه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات ما فيه، فخلقه بلا ذكر.

- {إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِيَ عَلَيْكَ} بأن جعله الله بنفسه آية ودلالة على كمال وقدرة الله.

{وَعَلَى وَالِدَتِكَ} حيث جعل عيسى –عليه السلام– برهاناً على براءتها وجعل عيسى –عليه السلام– سبب لرفعة ذكرها عند المؤمنين، ولتفضيلها على نساء العالمين ، وهذه كلها نعم من رب العالمين تفضل بها عليهم وهو سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

- ثم أتى أيضا تذكير بتأييد الله له:

{إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسْ} أي: إذ قويتك بالروح والوحي، الذي طهرك وزكاك، وصار لك قوةً على القيام بأمر الله والدعوة إلى سبيله. وقيل: إن المراد "بروح القدس" جبريل عليه السلام، وأن الله أعانه به وبملازمته له، وتثبيته في مواطن المشقة.

المقصود أن هذه نعمة حاصلة في ذاك الوقت وهو التأييد بروح القدس، وكما ذكر لنا الشيخ هناك خلاف على المقصود بروح القدس هل هو نفس الوحي الذي طهرك وزكاك، وأصبح بسبب هذا الوحي فيه قوة؟ أو جبريل؟

وكثير من المفسرين أنه جبريل، وقد عُلم أن الوحي لابد أن يكون عن طريق جبريل، فيصلح لو قلنا أن روح القدس هو جبريل وأن الله أيده بالوحي الذي يأتي مع جبريل.

إذًا نعلم أن الله تفضل على عيسى -عليه السلام- بأن جعله بنفسه آية تدل على قدرته، وأيضا أيده الله بروح القدس.

وتفضل على أمه بسبب ما كان منها من عبادة وتقوى:

- بأن جعل لها الرفعة
- وجعل لها عيسى سبب لبراءتها
- وجعلها سيدة نساء العالم.

- وأيضا من المنن أنه كان يكلم الناس في المهد وكهلا:

{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا} المراد بالتكليم هنا غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله.

فالله أيّد عيسى عليه السلام بأن ألقى الكلام من الملك على لسان عيسى وهو في المهد، وفي هذا تأييد له، وإثبات نزاهته وبنفسها هي نعمة عليه وعلى والدته، فبهذا تثبت البراءة عن ما اتهمت به وأن هذا خارج عن العادة، فكان الكلام في المهد من أول الدلائل، ولم يكن أي كلام، وإنما كان الدعوة إلى الله.

ولعيسى عليه السلام من ذلك ما لإخوانه من أولي العزم من المرسلين، من التكليم في حالِ الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، وامتاز عنهم بأنه كلم الناس في المهد، فقال: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} الآيات.

هذه الكلمات لا يمكن أن تخرج من صغير مهما كان، إنما ألقاها الملك على لسانه فتكلم بها.

- أيضا من النعم:

يقول تعالى: {وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} فالكتاب يشمل الكتب السابقة وخصوصا التوراة فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل –بعد موسى– بها ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه.

إذًا امتنّ الله عز وجل على عيسى –عليه السلام– أن علمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فإذا فهمنا أن الكتاب والحكمة المقصود به الكتب السابقة على وجه العموم، فعرف ما نزل من الله على الرسل وخاصةً التوراة والإنجيل ، التوراة التي نزلت على موسى –عليه السلام– والإنجيل الذي نزل عليه، إذًا هذا أيضًا من منن الله.

نعد منن الله عز وجل على عيسى –عليه السلام–:

١) جعله سبحانه آية على قدرته
٢) وأنعم على أمه بالبراءة والرفعة
٣) وأيده بروح القدس
٤) وأنه تكلم في المهد
٥) وأنه عُلم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فأتى ميزته العلم بكل الكتب السابقة وخاصةً التوراة التي نزلت على بني إسرائيل على موسى والإنجيل الذي نزل عليه.

الحكمة: هي معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمه وحسن الدعوة والتعليم ومراعاة ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي.

إذًا هذا معنى الحكمة وقد أوتي منها شيئًا كثيرًا فكان يعالج بني إسرائيل وهم يسبونه وهم يقعون في عرضه وهم يقولون عنه أنه ساحر، والله يقول اذكر نعمتي، وهذا فيه خزي لليهود الذين زعموا أنه ساحر مفسد، ولا يمكن أن يكون ساحر مفسد والله يقول اذكر نعمتي ولا يكون ساحر مفسد ويكون قد عُلِّم التوراة والإنجيل.

- ثم ذكر أيضًا بنعمة أخرى:

{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} أي طيرا مصورا لا روح فيه فتنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله.

وهذا معناه أنه مكنه من تصوير وتشكيل الطين على هيئة الطائر، ولا يطير إلا أن الله يأذن له أيضًا بالنفخ في تلك الصورة التي شكلها بإذنه فتكون طيرا ذا روح بإذن الله وخلقه.

إذًا هذا معناه أن فعله إنما هو بإذن الله ليريهم قدرة الله، ويريهم كيف أن الله ميزه هو عن غيره من الخلق.

وتبرئ الأكمه الذي لا بصر له ولا عين.

وهذا نفس الأمر، أن الله مكّنه من شفاء بعض الأدواء التي كان ولا زال بعيد شفاؤها، فالله عز وجل يمكنه من ذلك، وكل هذا المفروض مما يزيد بني إسرائيل قبولًا له، لأن الله أيده أي: قواه بروح القدس، وقواه بهذه الأعمال.

- ومنها: أنه يبرئ الأكمه والأبرص، يشفي الأكمه وهو الأعمى الذي لا يبصر شيئًا والأبرص الذي أصاب بهذا المرض.
- **{وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي}** بمعنى يكونون في قبورهم فتخرجهم من قبورهم أحياء، وهذا من أعجب الأشياء أن يخرجهم بعدما دفنوا ميتين في قبورهم فتخرج الموتى فلا يخرج الموتى إلا أحياءً.

هذه آيات بينات ومعجزات باهرات يعجز عنها الأطباء وغيرهم أيد الله بها عيسى وقوى بها دعوته.

وهذه كلها الآيات واحدة منها كافية للدلالة على أنه رسول من عند الله مع موافقة دعوته لما أتى به عيسى –عليه السلام– فلو أنه أتى بشيء من هذه الأشياء وكان وخالف موسى –عليه السلام– ربما نظر في أمره م وقيل نعم أتى بما يخالف به الرسل، فلا يقبل منه حتى لو جرت على يده خارقة من خوارق العادات لكن عيسى –عليه السلام– أتى بما يوافق به موسى –عليه السلام–. وأتى بأدلة الباهرات على نبوته. فكان يُنْتَظَر أنهم يؤمنوا بما جاء به.

أيضًا مما حصل معه لما تعرضوا له بني إسرائيل بالإهانة والقذف،كف الله عنه بني إسرائيل فلصبح من أفعال الله تعالى

إذ أيدتك بروح القدرس وتكلم الناس

وإذ علمتك الكتاب والحكمة

وإذ كففت بني إسرائيل عنك.

- **{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ}** وهذهمن أعظم النعم وهي نعمة العصمة من الإهانة، فقد كف الله عنه بني إسرائيل عنه سنين طوال، يدعوهم إلى الله وهم يجمعون أمرهم على قتله وسيأتي طبعًا بعد ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا معه، لكن المقصود أن هذا كان له زمن.

{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} المقصود أن هذا كان في الزمن الذي أراد الله عز وجل أن يظهر فيه المعجزات والبينات، الله كف عنه بني إسرائيل في المدة التي أراد الله عز وجل فيها أن تظهر معجزاته بينهم.

{إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ} لما جاءهم الحق مؤيدًا بالبينات الموجبة للإيمان به **{إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ}**.

هم قالوا كلام أكثر من ذلك، لكن الله عز وجل قال لنا هذه الدعوى لأنهم من هذه الدعوى أرادوا قتله، يعني ما عذرهم في كونهم يقتلون عيسى –عليه السلام– ويتمالؤون على ذلك؟

لأنهم قالوا حكم الساحر في شريعتنا القتل ؛ لأن السحر عندهم كفر، لأنه كان من صناعة عبدة الأصنام ، فلما أرادوا قتله قالوا عنه أنه ساحر.

{إن هذا} يشيرون إلى مجموع ما شهدوا من البينات، يقولون هذا سحر مبين ، وهذا شيء عجيب! أتتهم البينات الواضحات فما كان منهم إلا أن كذبوا بها رغم أنهم يعرفون مسلك السحرة ومسلك الأنبياء، فالسحرة معلومين في كون أنفسهم متدنسة بالآثام، وعيسى –عليه السلام– زكاء نفسه يشهد بها كل أحد.

فجعلوا الأمور العظيمة العجيبة التي كان يفعلها بدل ما تكون دلالة على أنه نبي، جعلوها دلالة على أنه ساحر، وأرادوا بذلك أن يتوصلوا إلى قتله.

وهموا بعيسى أن يقتلوه وسعوا في ذلك فكفَّ الله أيديهم عنه وحفظه منهم وعصمه.

وكان باقيًا في الأرض يظهر آيات الله ثم كما هو معلوم رفعه الله إلى السماء.

فهذه مِنَنٌ امتَنَّ الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم، ودعاه إلى شكرها والقيام بها فقام بها عليه السلام أتم القيام وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم.

وهنا إشارة إلى ما مضى من حاله في الدنيا وأنه بأمر الله يوم القيامة سيكون ممن رُفع وأُظهرت مكانته وعُلم حاله.

- ثم يأتي التذكير بنعم أخرى أيضًا:

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} فهذه أيضًا منة بأن جعل له أصحابًا وأنصارًا.

أي: واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعا وأعوانا. فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم.

الوحي بمعنى الإلهام، مثل قوله تعالى: **{وأوحيت إلى أم موسى أن أرضعيه}**.

وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي، أو أوحيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا.

أوحيت إما لهم بالإلهام، أو لك فكان على لسانك ما استجابوا له.

والذي يظهر كما ذكر عند أكثر المفسرين أن هذا الشيء قُذف في قلوبهم، فكان الحواريين سابقين إلى الإيمان، لم يترددوا في صدق عيسى -عليه السلام- وهؤلاء الصفوة من بني إسرائيل لأن عيسى -عليه السلام- قال: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ}.

وقالوا: آمنا بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان.

فجمعوا لنفسهم بين الأمرين: ءامنا بالله: بقلوبنا

واشهد بأنا مسلمون: أي بجوارحنا، فيحصل لهم الإيمان من جهة والعمل الصالح من جهة.

إذًا:

1)أيد الله عيسى عليه السلام بروح القدس.

2)وعلمه الكتاب والحكمة.

3)وكف عنه بني إسرائيل.

4) وجمع عليه الأنصار -الذين هم الحواريين-.

وهذه نعمة على عيسى لأنه لو لم يؤمنوا به لما وجد من يتبع دينه، وقوع الإتباع منهم معناه وجود الأجر العظيم له صلى الله عليه وسلم.

والحواريون هم: الأنصار، كما قال تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} [آل عمران: 52].

فهذه نعمة من الله عز وجل على عيسى عليه السلام، وهنا تأتي نقلة إلى حدث حصل بين الحواريين وعيسى -عليه السلام- فممكن أن يكون هذا تابع لما سيعرض يوم القيامة مما يذّكر الله به عيسى يوم يجمع الرسل، فحُكي عن حصوله في الدنيا، أو أن يكون هذا مزيد بيان لما حصل مع الحواريين وهو سؤالهم المائدة.

هؤلاء قال الله -عز وجل- عنهم أنهم قالوا آمنا واشهد بأن لا مسلمون، وهم مع ذلك يقولون: هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء؟ فلابد من التأمل في ذكر قصة المائدة، ورؤية صفات هؤلاء الحواريين التي ظهرت أثناء حوارهم مع عيسى -عليه السلام-.

يقولون هل يستطيع ربك، فيعرضون الطلب من جهة قولهم هل يستطيع؟

{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم.

كأنهم يقولون: نحن نود هذا الشيء لكننا نستحي طلبه، فكأن هذا اللفظ فيه تلطف وتأدب في السؤال كما هو مناسب لأهل الإيمان وليس شكا بقدرة الله، وسألوا هذا لزيادة اطمئنان قلوبهم، فينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس، وكما هو ومعلوم أن الدليل المحسوس لنفوس للمحسوس آنف، يطلبه الإنسان ليزداد قوة في الإيمان.

معنى هل يستطيع ربك: من باب الأدب كأنهم يقدمون العذر إذا لم يحصل لهم الإجابة.

وقالوا (ربُك) إشارة إلى أنك أنت الذي ستطلب.

ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافيًا للإنقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى -عليه السلام- فقال: {اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا.

وهذا المعنى سيكون مناسبًا جدًا أن تختم به سورة المائدة وتفتتح الأنعام لمناقشة الكفار الذين يقترحون آيات ، لكن هؤلاء ما كانوا مقترحين آية، هؤلاء مؤمنين إنما أرادوا أن يزدادوا إيمانا.

وقد كان الطعام لبني إسرائيل موطن لكثير من الآيات فإننا كما سمعنا في ما سبق في التيه نزل عليهم المنّ والسلوى، فهم يريدون مائدة منزلة من السماء لأنهم رغبوا أن تكون خارقة للعادة، فيجتمع فيها المصلحة في الأكل وأن تكون شيء مختلف عما اعتادوه، فخاف عليهم عيسى -عليه السلام- فقال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين،كأنه خشي أن يكون هذا السؤال ناشئ عن شك فسألوا معجزة بعد أن قالوا مؤمنين وهذا مثل ما قال لإبراهيم عليه السلام {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} أي ألست غنيًا عن طلب الآية المحسوسة؟ فكأنه نهاهم عن طلب المعجزات إذا دمت مؤمنين ما الحاجة إلى الآية فلا تقولوا كلام يظهر شككم في قدرة الله.

لكن الحواريين كانوا مؤمنين وأرادوا من هذا زيادة اليقين وعيسى -عليه السلام- خاف عليهم وأمرهم بالتقوى ومنعهم عن كثرة السؤال وبين لهم أنه لو اقترح أحد الآيات لا يدري ماذا يحل به وأن الله — سبحاه وتعالى - يفعل بعباده الذي هو أصلح بهم وأنه يفعل لخلقه الذي هو أصلح.

بعدما بين ذلك كله

فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك ف {قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا}.

أي أنهم لا يريدون آية ولا يشكون وإنما مصلحتهم عائدة أن يأكلون {قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا} وهذا معلوم من حالهم فإنهم كما تعلمون قد مر عليهم في أجيال أن تأتيهم آيات في الأكل.

وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، {وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا} بالإيمان حين نرى الآيات العيانية فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين.

وذكر الشيخ سؤال الخليل ربه –عليه الصلاة والسلام – ربه أن يريه كيف يحيي الموتى {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت.

لا بأس من زيادة العلم واليقين في كل وقت لكنه يطلبه من طرق ترضي الله، وهنا كأن عيسى شعر أن هذه طريقة لا ترضي الله فردوا قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين.

ولهذا قال: {وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا} أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، {وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ} فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.

معناها أنهم دفعوا عن أنفسهم أن يكون هذا لضعف إيمانهم وإنما هذا مطلب لزيادة الإيمان.

هذا واضح ومطلب زيادة الإيمان لا مانع منه ونحن متفقين على ذلك، لكن لابد أن يكون على ما يحب الله ويرضى.

لما قالوا له ذلك سأل الله أن ينزل عليهم المائدة فلما سمع عيسى –عليه الصلاة والسلام– ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال: {اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ}

نتخذه ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدًا، ومعناها يبقى الخبر لمن وراءهم.

يكون وقت نزولها عيدًا وموسمًا، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرار السنين.

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرًا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم.

{وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ} أي: اجعلها رزقا معناها فسأل عيسى –عليه السلام– ربه أن تنزل فسأل نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا.

أي لم يكن من ضعف الإيمان! إنما أجابهم لما علم أنهم أرادوا بذلك المصلحة التي تكون في الدنيا وبقاء عيدًا. وكأنهم يشيرون أننا أول أمة نصرانية فتبقى لمن بعدنا، والعيد طبعًا كما تعلمون يكون فيه الشكر أو الاعتبار على نعمة حادثة والنبي صلى الله عليه وسلم سمى يوم الفطر عيدا وسمى يوم النحر عيدا وهما عيدا المسلمين؛ لما فيهما من قيام الخلق لطاعة الله وعبادته.

يبقى هنا أن نرى هل نزلت أو ما نزلت؟ **{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}** إذًا في هذه الآية جاء التهديد أنهم إذا نزلت عليهم ووقع منهم الكفر سيعذبوا عذابًا لم يشهده أحد من العالمين.

لماذا ؟

لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادًا وظلمًا، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد.

واعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم -إن كفروا- بهذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها.

سياق الآية ما يدل على وقع هذا الأمر، فكأن بني إسرائيل -هم الحواريون- لما شعروا أن هذا سيجلب عليهم خطر عظيم،كأنهم تراجعوا، هذا رأي الشيخ وله على ذلك أدلة.

فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك، أنه لم يُذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود.

وهذا دليل قوي أنه في كتب النصارى ما يوجد خبر عن المائدة والمفترض أن تكون عيدًا لأولهم وآخرهم.

ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه.

أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلا وإنما ذلك كان متوارثًا بينهم ، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على المعنى الثاني قوله: **{وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ}** والله أعلم بحقيقة الحال.

نحن الآن اعتقادنا أن الله قال لهم وعدهم أنهم نزّلها، وتوعدهم أنه إذا وقع الكفر سيعذبهم، ولا ندري أتركوها وقالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل، وهذا فيه أسانيد صحيحة عن مجاهد والحسن. أو أنها نزلت ولم تتناقل، ويكون من الحظ الذي نسّوه وتركوه ولم يذكر بعضهم بعضًا به.

على كل حال الله -عز وجل- أجاب الله دعاء عيسى -عليه السلام- بأنه ينزلها، وفي ذلك دلالة على كرامته عند ربه إذ أجاب دعوته وعلى سعة قدرته بغض النظر وقوع الأمر أو عدم وقوعه أي أجاب أنه سينزلها لكنه وضع هذا الشرط **{فَمَنْ يَكْفُرْ}**.

ومن رأى أنها نزلت يقول لأن الله قال: {إِنِّي مُنَزِّلُهَا} فربما وقع في قلوب الحواريين الخوف من الكفر فتركوها.

الذي نعتقده أن خبر هذه المائدة وقع، حصل الطلب وحصل الوعد أنه سينزلها ووقع الشرط أي الله أخبرهم عن الشرط، الذي لا ندريه، هل خافوا من الشرط فتركوا وتراجعوا عن طلبهم أو أنهم بقوا ونزلت؟

والنصارى لا يعرفون خبر نزول المائدة من السماء وأصلًا كم خبر هم أهملوه في الإنجيل فليس هذا شيء عجيب عليهم إهماله!

الشاهد هذه عقيدتنا، وفيها من دلائل رفعة عيسى -عليه السلام- عند ربه ومكانته ، وأنه -سبحانه وتعالى- يذّكره بهذه النعم التي أنعم بها عليه وعلى من أتبعه.

الآن نذكر تذكير مهم ، أنه بعد هذه الأخبار عن منن الله عليه قال الله – عوز وجل-: {يَعِيسَى أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ} كأن الأخبار السابقة كلها أتت لتؤنسه، قبل أن يأتيه هذا الأمر العظيم لأن في هذه الآية توبيخ وتقريع للنصارى على رؤوس الأشهاد وهذا مما يتبرأ منه أهل الإيمان ولذا ظهرت براءته مباشرة قال : {سبحانك} يعني هذا كلام قبيح لا يليق. {ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق}.

وعدنا هنا مرة أخرى لصفة العلم: {إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب} وهنا يأتي الأمر المهم الذي ورد في الحديث في بعض الآثار، أنه يدعى بالأنبياء يوم القيامة مع أممهم، ثم يدعى بعيسى -عليه السلام- فيذكره الله بنعمه فيقر بها، فيذكره الله بنعمه عليه إلى أن يسأله {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} فينكر أن يقول ذلك كما في الآيات. ثم يؤتى بالنصارى فيسألون فيقولون: نعم هو أمرنا بذلك. فتكون أمة النبي صلى الله عليه وسلم هي الشاهد ة على أنه لم يأمرهم بذلك وهذا ما يجب أن نعتقده أن عيسى عليه السلام لم يأمرهم بذلك بل أمرهم بالتوحيد، وقد قال هنا (سبحانك) منزها لله عن هذا القول الفظيع حتى أنه قال لربه : {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} يعني كان موطن شاهدنا هذه الآيات الأخيرة، لكن هذا رزقنا.

نبقى جامعين قلبنا على أننا سنشهد مع عيسى -عليه السلام- على كل النصارى الذين سيأتون يوم القيامة ويقولون أنه أمرهم أن يتخذوه وأمه إلهين؛ لأنهم كذبوا في ذلك، بل أمرهم بالتوحيد وهم قد أنكروا التوحيد.

نسأل الله أن يجمعنا بنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وبالأنبياء جميعًا شاهدين لهم بالرسالة وأداء الأمانة، وأن نكون ممن صَدَقَ فنكون ممن قال عنهم الله تعالى: {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَادِقِينَ صِدْقُهُمْ} ونسأل الله –عز وجل– أ ن نكون من الصادقين في إيماننا، من الصادقين في شهاداتنا، من الصادقين في أعمالنا وتكون خالصةً لوجه ربنا. اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.